تضييع الحقوق

خطورة الظلم والتذكير بالحساب والقصاص يوم القيامة

خطبة ألقاها

الشيخ أ.د. سليمان بن سليم الله الرحيلي

أستاذ كرسي الفتوى بالجامعة الإسلامية والمدرس بالمسجد النبوي الشريف

يوم ٥ ربيع الآخر ١٤٣٧ بالمدينة النبوية

[الخطبة الأولى]

إنّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيّئات أعمالنا، من يهد الله فلا مُضلّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران:١٠٢]

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء:١]

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١]

أمّا بعد: فإنّ أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشرّ الأمور محدثاتها، وكلّ محدثة بدعة، وكلّ بدعة ضلالة، وكلّ ضلالة في النار، ثم يا عباد الله:

إنّنا خُلِقنا وأُوجِدنا في الدنيا، وإنّنا نسير إلى ربّنا بِسَيرَيْن لا بدّ منهما:

- فأما أحدهما: فهو سَيرُنا إلى ربّنا بآجالنا، وهذا سيرٌ لا تَوَقُّفَ فيه ولا تَأَخُّر، بل هو تَقَدُّمٌ دائم إلى أجلٍ مُسَمَّى، إذا حضر لا يتقدّم ولا يتأخّر.
- وأمّا الآخَر: فهو سَيرُنا إلى الله بأعمالنا، وهذا سَيرٌ لا توقّف فيه، بل إمّا تقدّم وإما تأخّر، ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ [المدثر: ٣٧].

ومن أسفٍ شديدٍ -يا عباد الله- أنّ الكثيرين منا يتأخّرون أكثر ممّا يتقدّمون، الهمّة في الطاعات ضعيفة، والجُرأة على المعاصي عظيمة، وتضييع حقوق الخلق كبير.

فكَمْ من والد -أَبٍ أو أُمّ- قد ضَعُفَ بصرُه، وانحنى ظهرُه، يَبِيتُ في فراشه وقلبُه كجمرةٍ من نار، مِن تضييع ولدِه حقَّه.

وكَمْ! وكَمْ من عامل -يا عباد الله- قد تغرّب عن بلده، يأخذ أجرًا أقلّ من عمله، فأجره لا يكافِئُ عمله، ومع قِلّته فإنّه لا يُوَفَّاه في وقته، وقلَّ أن يُوَفَّاه كاملاً، والعياذ بالله.

وكَمْ من كفيلٍ يغُشّه العامل، ويختلس من ماله، ويكذب عليه، وكم من عامل يغُشّ مستأجِرَه ويكذب عليه، ويأخذ من أمواله.

وكم من زوجة في بيتها، هي زوجة كأنّها عزباء، إذا جَنَّ عليها الليل نظرت إلى أطفالها، تخاف عليهم من صوت الهِرّ والكلب وغيرها، وزوجُها إذا جَنَّ الليل ذهب إلى الاستراحة، يلعب البالُوت، يُضاحِك زملاءه، لا يعود إلى بيته إلا عند الفجر، جعل بيته استراحة، وجعل الاستراحة بيتَه.

وكم من زوج -يا عباد الله- يتعوّذ من دخول بيته، من زوجة ضيّعت حقوقه، إذا رآها لم تَسُرَّه، وإذا سمع صوتها لا يسمع إلا سِبابًا وشتامًا، وإذا غاب لا يأمنها على ماله ولا على نفسه.

وكم وكم وكم من تضييعٍ للحقوق يا عباد الله! اِيـــــــــــه يا أمّة القرآن! يا حسرةً على الكثيرين من أمّة سيد ولد عدنان ﷺ!

عباد الله، عباد الله! إن أعظم سبب لسوء الحال هجران القرآن، فالكثيرون منّا -يا عباد الله- قد هجروا القرآن، إمّا بأن هجروا قراءته إلا قليلا، وإمّا بأن هجروا تدبّره والعمل به، ولو أنّا -يا أمة محمد، يا أمة القرآن- رجعنا إلى قرآننا، نقرأه ونجعله في بيوتنا، تقرأه الأسرة كلّها، ونتدبّره، ونفهم معانيه، لَكُنَّا مثل الأرض الجرداء التي ينزل عليها المطر المتكرّر يغسل وجهها، يُذهِب أذاها، يُنبِت زرعها، تخضرّ به أشجارها، ينتفع به كل شيء في الأرض، وهكذا المسلم -يا عباد الله- مع كتاب الله ﷻ.

وإنّي -يا عباد الله- ضاربٌ لكم مثلاً بآيةٍ واحدةٍ في كتاب ربنا، لو أنّا قرأناها وتدبّرناها وفهمنا ما فيها لتغيّرت أحوالنا، فتضاعفت فِينا الهِمَم في الطاعات، وانزجرنا عن المعاصي والمنكرات، وحَرِصنا على حقوق المخلوقات، يقول ربّنا ﷻ: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

الله أكبر يا عباد الله! ما أعظمَ الأمر وما أشدَّه وما أفظعَه! الله ﷻ يخبرنا أنّه يضع موازين العدل ليوم القيامة، وهي ميزان واحد عند أكثر العلماء، لكنّ ربّنا جمعها في هذه الآية بيانًا لعظمة ربّنا ﷻ، وأنّه يزن في ذلك الميزان ما يحتاج إلى موازين كثيرة جدًّا حتى توزَن، وأنّ ما يوزن يوم القيامة كثيرٌ جدًا، تلك الموازين موازين القسط.

﴿فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾: فلا يَسقط من الميزان شيء، ولا يغيب عن الميزان شيء.

والمحاسب: الله، والشهود: الكرام الكاتبون والنفوس، يقول أنس بن مالك ﷺ: كُنّا قعودًا عند النبي ﷺ فضحك ﷺ فقال: «أتدرون مِمّا أضحك؟» قلنا: الله ورسوله أعلم، فقال ﷺ: «مِن مُخاطبة العبد ربّه، يقول يا ربِّ ألَمْ تُجرِني من الظلم؟ فيقول: بلى، فيقول: فإني لا أُجيز على نفسي إلا شاهدًا مني، فيقول الله ﷻ: كفى بنفسك اليوم عليك شهيدًا، وبالكرام الكاتبين شهودًا»، قال: «فيُختَم على فيه، ويقال لأركانه: انطُقي، فتنطق بما عَمِل، ثم يُطلَق لسانه، فيقول: بُعدًا لَكُنَّ وسُحقًا! فعَنْكُنَّ كنت أُناضِل!»

والكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، فمن يعمل مثقال ذرّة خيرًا يره، ومن يعمل مثقال ذرّة شرًّا يره.

الله العظيم الجبّار هو المحاسب ﷻ، فلا ظلم في ذلك اليوم.

فيا من ضَعُفَتْ همّتك في الطاعة وكنت من المتأخّرين عن الطاعات، تذكّر هذه الآية وأنّ المحاسب الله، يا من جرُؤتَ على معاصي الله -لا سيّما في الخلوات- تذكّر هذه الآية، وأن المحاسب الله ﷻ.

يا من ضيّعتَ الحقوق، تذكّر أنّ المحاسب الله ﷻ، وأنه لا بدّ من القصاص، وأنّ القصاص إنّما يكون بالحسنات والسيّئات، يقول النبي ﷺ لأصحابه: «أتدرون ما المُفلِس؟» قالوا: المُفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال ﷺ: «المُفلِس من أمّتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة»، أي أنه عابدٌ يأتي بأعمال مقبولة لها حسنات، «ويأتي وقد شَتَمَ هذا، وقَذَفَ هذا، وأَكَلَ مالَ هذا، وسَفَكَ دمَ هذا، وضَرَبَ هذا، فيُؤخَذ من حسناته، فيُعطَى هذا من حسناته، ويُعطَى هذا من حسناته، حتّى إذا فَنِيَت حسناته، و لم يقضِ الذي عليه، أُخِذ من خطاياهم فطُرحت عليه، ثم طُرح في النار».

يا عبد الله، إنّ جميع الحقوق إنْ لم تُؤَدَّ في الدنيا سيكون القصاص يوم القيامة، يقول النبي ﷺ: «لَتؤدُّنّ الحقوق يوم القيامة حتى لَيُقَادَ للشاة الجلحاء من الشاة القرناء»، أي: حتى لَيُقتصّ للشاة التي لا قرون لها من الشاة التي لها قرون، كانت تنطحها بقرونها في الدنيا.

إنّ الحقوق المعنويّة فيها القصاص يوم القيامة، اسمع يا عبد الله، يقول النبي ﷺ: «من قَذَفَ مملوكه بالزنا جُلد يوم القيامة إلا إذا كان كما قال».

هذا مالُه –مملوكه إذا قذفه بالزنا، جُلد يوم القيامة إن كان كاذبًا فيما يقول، فكيف بالحقوق المعنويّة للناس الذين لا سلطان لك عليهم يا عبد الله؟

فيا مَن إذا أمِنْتَ عقوبة الدنيا أضعت حقوق الخلق المعنوية، فإذا تخبّأت خلف تويتر، أو الفيس بوك، أو غير ذلك، سببتَ الناس، فهذا كافر، وهذا ظالم، وهذا فاسق، وهذا مبتدع، وهذا كذا، وهذا كذا، اعلم أنه سيُقتصّ منك يوم القيامة، إلا إذا كان المرء كما قلت، وأذن الله لك فيما قلت، فاعلم، وانظر إلى لسانك يا عبد الله، وانظر إلى حقوق المخلوقين المعنوية.

وكذلك فإنّ الحقوق المادّية سيكون فيها القصاص بين يدي الله ﷻ، يقول النبي ﷺ: «من ضرب غُلامه سوطًا ظلمًا اقتُصّ منه يوم القيامة»، فمن ضرب مملوكه ظلمًا بسوط واحد اقتُصّ منه يوم القيامة.

فيا مَن لك القوّة على بعض الضعفاء، يا أيّها الأب، ويا أيّتها الأم، لا تحسِبْ أنّك إذا ضربت الأبناء لغير تأديب، وبغير أسلوب التأديب، أنه سيضيع ذلك، بل لا بدّ من القصاص يوم القيامة.

يا أيّها المعلّم، لا تحسبَنّ أنك إذا ضربت الطّفل في المدرسة، ولطَمت خدّه، وآذيته، وأنت تأمن العقوبة، أنّ هذا سيضيع، فوالله إنّ القصاص يوم القيامة!

يا أيّها الكفيل، يا مَن عندك عامل مُتغَرِّب يبحث عن الرّزق أضْعَفَهُ ضيق الحال في بلده، لا تحسبَنّ أنك إذا أهنته وشتمته وضربته ستنجو، فإنّه –والله– لا بدّ من القصاص يوم القيامة!

جاء رجل من الأنصار فقعد بين يدي رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إنّ لي مملوكِين يَكذِبونني، ويَغُشّونني، ويَخُونوني، وأنا أضرِبهم، وأشتُمهم، فكيف أنا منهم يا رسول الله؟ فقال ﷺ: «يؤتى يوم

القيامة بما كَذَبُوك، وخانوك، وغَشّوك، وبعقابك إيّاهم، فيوزَن، فإن كان عقابك إيّاهم بمقدار ذنوبهم، كان كَفافًا لا لك ولا عليك، وإن كان عقابك إيّاهم دون ذنوبهم كان فضلاً لك عليهم، وإن كان عقابك إيّاهم فوق ذنوبهم اقتُصّ لهم الفضل منك»، فأخذ الرجل يَصِيح ويبكي، فقال رسول الله ﷺ: «أوَما تقرأ القرآن؟ يقول الله ﷻ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧]» الآية، فقال الرجل: والله يا رسول الله، لا أجِدُ خيرًا لهم ولي أعظمَ من مفارقتهم، أُشهِدك أنّهم أحرارٌ كلهم.

فاتقوا الله عباد الله! وتذكّروا هذه الآية العظيمة، واجعلوها شِعارًا لكم في حياتكم، حتى تُحسنوا سَيْرَكُم إلى ربّكم.

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العظيم لي ولكم من كلّ ذنب، فاستغفروه إنّه هو الغفور الرحيم.

[الخطبة الثانية]

الحمد لله ربّ العالمين، الرحمن الرحيم مالك يوم الدين، وأشهد أن لا إله إلا الله إله الأولين والآخرين، وأشهد أنّ محمدا عبده ورسوله، سيّد ولد آدم أجمعين، وخاتم الأنبياء والمرسلين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين، أمّا بعد فيا معاشر المؤمنين:

تذكّروا أنّ الحقوق أمانة عندكم وأنّ الله أمركم أن تؤدّوا الأمانات، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨].

وتذكّروا -عباد الله- أنّه لن يدخل أحد من أهل الجنة الجنة ولِأَحدٍ من أهل الجنة عنده حق أبدًا، أخبر النبي ﷺ أنّ المؤمنين إذا خَلَصوا من النار -أي تجاوزوا الصراط- حُبِسُوا على قنطرة بين الجنّة والنّار، يتقاصّون مظالم كانت بينهم في الدنيا.

وتذكّروا -عباد الله- أنّه لن يدخل أحد من أهل النّار النّار وله حقّ عند أحد من أهل الجنّة حتى يَقتَصَّه منه، ولن يدخل أحد من أهل الجنّة الجنّة ولأحد من أهل النّار عنده حقّ حتى يُقتصّ منه.

قال النبي ﷺ: «يَحشُر الله العباد» -أو قال: «يَحشُر الله الناس»- «عُراة غُرلاً بُهمًا»، فقال الصحابة رضوان الله عليهم: وما بُهمًا يا رسول الله؟ فقال ﷺ: «ليس معهم شيء»، أي أن الإنسان -يا عباد

الله- يكون يوم القيامة ليس معه شيء ممّا كان في الدنيا، من مال، وولد، وقوّة، وإنّما يُحشَر ليس معه شيء، «يناديهم بصوت يسمعه من بَعُد كما يسمعه من قَرُب: أنا الملك، أنا الدَّيّان» -أنا الملك، أنا الديّان!- «لا ينبغي لأحد من أهل النّار أن يدخل النّار وله عند أحد من أهل الجنّة حقّ حتّى أقُصَّه منه، ولا ينبغي لأحد من أهل الجنّة أن يدخل الجنّة وعنده حقّ لأحد من أهل النّار حتى أقُصَّه منه، حتّى اللَّطمة» -حتى اللطمة- قالوا: يا رسول الله، كيف ونحن نأتي غُرلاً عُراةً بُهماً؟ فقال ﷺ: «إنّما هي الحسنات والسيّئات».

تذكّر ذلك يا عبد الله، إيّاك -يا عبد الله- أن تغترّ بنعمة أنت فيها اليوم، إيّاك -يا عبد الله- أن تغترّ بقوّة تشعر بها اليوم، إيّاك -يا عبد الله- أن تغترّ بعافية أنت فيها اليوم، فإنه إذا لم يُقتَصّ منك في الدنيا من ظُلمك، فإنه سيُقتَصّ منك في الآخرة.

فاتقوا الله عباد الله، وكونوا على يقين من النُّقلة، وعلى يقين من الحساب، وعلى يقين من الميزان، وعلى يقين أنه لن تُظلمَ نفسٌ شيئًا، وأحِسنوا سيرَكم إلى ربّكم ﷻ، لعلّكم تُرحمون.

[حُذف الدعاء من التسجيل]